روعة القصص القرآني في تصوير الأحداث ورسم الشخصيات (قصة ذي القرنين نموذجاً) (دراسة وصفية - موضوعية)

The charm of Quran stories in event description and personality

(The story of Dhul-Qarnayn as an example)

(Objectivity- descriptive Studying)

أ. م. د. عبد الله محمد فهد

رئيس قسم أصول الدين/ ديالى

Preparation by:

D. Abdallah Mohammad Fahad

abdfh@gmail.com

07702797096

الملخص عربي

روعة القصص القرآني في تصوير الاحداث ورسم الشخصيات (قصة ذي القرنين نموذجاً).

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد من أهم عناصر القصة هي (الشخصية) التي تدور احداث القصة حولها؛ وتصوير الشخصية بعالمها الحي، والقران الكريم حيث عنى بجانب الشخصيات فيها ولم يعن برسم الخطوط الشكلية للشخصية بإبراز ملامحها الخارجية؛ فتأتي الشخصية في القصص القرآني بارزة حتى وان لم يذكر اسمها ؛ لأنها تعبر عن الانسان بكله وهنا تكمن الروعة والجمالية في قصصه، فالناظر في القصص القرآني يرى أن مذهبه في رسم الاشخاص وتصويرها هو المذهب غير المباشر، من حيث عرض الشخوص في تفكيرها واعمالها وحركاتها، فهي ليست مقصودة لذاتها، وقصة (ذي القرنين) هي إحدى تلك الروائع من قصص القران التي تميزت بأسلوب السؤال والجواب في مطلعها ثم السرد القصصي والوصف لأحداثها، فتكاد تخلو من اسلوب الحوار إلا في موضعين او ثلاثة، لذا فالبحث الذي بين يدينا يعرض وبوضوح واختصار هذه الشخصية متجسدة فيها هذه الأمور التي هي صلب القصة القرآنية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

Abstract:

The charm of Quran stories in event description and personality praise be to Allah The Lord of universe, then pace and blessing be upon his Prophet (Mohammed) and their kindred all of them, as for.

One of important story origin is (personality) who roundness concerning, Quran lock after at this aspect and drowning persons in stories.

When the studies read in this stories and premiere, find a champion of this was (thu alqarnyn) he was a believer leader ship in history, then I want to talk about it in this papers, God's blessing and peace be upon his messenger Mohammad.

Therefore, the research in our hands presents, clearly and briefly, this personality embodied in it these matters that are the core of the Qur'anic story, and our last call is that praise be to God, Lord of the Worlds.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين مستحق الحمد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ وعلى اله وأصحابه ومن والاه أما بعد، فإن العمل القصصي في القران الكريم قائم على عناصر رئيسة، لا غنى للنص عنها شأنها شأن أي دعامة يرتكز عليها العمل؛ حيث تتأثر وتؤثر في السرد القصصي القرآني، لتحقيق أهدافه وغاياته السامية، كما أنه وسيلة بيانية لفهم الدعوة والرسالة المحمدية

ولعل من بين أهم هذه العناصر **(الشخصية)** التي تدور احداث القصة حولها؛ وتصوير الشخصية بعالمها الحي، والقران الكريم حيث عنى بجانب الشخصيات فيها ولم يعن برسم الخطوط الشكلية للشخصية بإبراز ملامحها الخارجي؛ انما اهتم بالكشف عن مزاج الشخصية وموقفها الفاعل في احداث القصة، فتأتي الشخصية في القصص القرآني بارزة حتى وان لم يذكر اسمها ؛ لأنها تعبر عن الانسان بكله وهنا تكمن الروعة والجمالية في قصصه، فالناظر في القصص القرآني يرى أن مذهبه في رسم الاشخاص وتصويرها هو المذهب غير المباشر، من حيث عرض الشخوص في تفكيرها واعمالها وحركاتها، فهي ليست مقصودة لذاتها، وانما هو الحدث الذي جرت حوله القصة، الذي يعد الهدف الأساس من سياق القصة كالعبرة والعظة.

كما أن الصلة بين **الحدث** والشخصية، اقوى من ان يدلل عليها، لانهما العنصران الرئيسيان في القصة، نعم قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية الى الحدث دون الشخصية بما يخدم الفكرة الرئيسة لورود القصة، كأن يخلق جواً ملائماً من رهبة او رغبة مما يشد انتباه القارئ ويزيد شغفه بمتابعه الحدث الذي قد يأتي بهيئة وصف أو مشاعر نفسية تعبر عنه او مقرونا بزمن وكيفية وقوعه وهكذا هي جمالية القصص القرآني في الدقة والبلاغة في التعبير الفريد بأساليب متنوعة تعرض الاحداث أما سرداً، أو حوارا قصصياً، أو يكتفي بالإشارة اليه بما يخدم الغاية من وروده إن كانت اجابة للسائلين، أو انكاراً للمكذبين أو تسلية عن نبيه ﷺ، وقصة **(ذي القرنين)** هي إحدى تلك الروائع من قصص القران التي تميزت بأسلوب السؤال والجواب في مطلعها ثم السرد القصصي والوصف لأحداثها، فتكاد تخلو من اسلوب الحوار إلا في موضعين او ثلاثة.

وقصة ذي القرنين رغم ورودها مجتمعة في موضع واحد من السورة؛ إلا أنها جاءت مختصرة بحيث أشبهت القصة القصيرة أو (الأقصوصة) التي تعالج مسألة معينه، أو تظهر جانباً أو تجيب عن تساؤلات في نفس القارئ، إذ دارت أحداث القصة حول شخصية تاريخية معينه، صورتها

لنا الآيات بأدق معاني التعبير، وألخص المفردات لترسم لنا شخصية القائد الذي ورد السؤال عنه، بما يلائم طبيعة السؤال هذا ويلم بجوانب الحدث بموضوعية غاية في الروعة بعيداً عن الاسهاب والتفصيل.

بدأت القصة بسؤال عن شخصية وانتهت ببيان حالها يرافقها تصوير متقن متسلسل ودقيق للأحداث الزمانية، والمكانية، والظروف التي عاصرت الشخصية بشكل موجز وجميل بحيث خرجنا بتصور واضح عن شخصية (ذي القرنين) إن كانت صالحة أو سيئة؟ أو أنها نبي مرسل أو قائد محنك كل هذا نستشف معانيه من وصف القصص القرآني للشخصية وما دار من احداث ليرسم لنا الملامح بكل شفافية ووضوح رائعين، حين تجتمع الكلمات القرآنية لتؤلف جملاً قرآنية وتجمع الجمل لتؤلف الصورة وتجتمع الصور لتؤلف المشهد القرآني الذي تتحرك فيه الصور بحركة تأخذ بالألباب.

وقد آثرت أن أفرد بحثي هذا للحديث عن روعة القرآن في تصوير الأحداث ورسم أبطال القصة القرآنية بشكل واقعي بعيدا عن الأسطورة والخرافة، بحيث يمكن ان يكون نموذجا حياً مثله بعنوان: **روعة القصص القرآني في تصوير الاحداث ورسم الشخصيات (قصة ذي القرنين نموذجا)**، وقد اقتضت طبيعة البحث أن اقسمه على النحو الآتي:ـ

- **المقدمة**: وفيها اسباب اختيار الموضوع وخطة البحث.
- **المبحث الأول:** روعة القصص القرآني وتنوع اساليبه في السرد ويقسم الى :ـ
- **المطلب الأول:** أساليب القصص القرآني وتعريف بالقصة وعناصرها.
- **المطلب الثاني:** جمالية الأسلوب القصصي في قصة ذي القرنين
- **المبحث الثاني:** بناء الشخصية في القصص القرآني ويقسم الى:ـ
- **المطلب الأول:** روعة التصوير وبناء الشخصية القصصية في القران الكريم.
- **المطلب الثاني:** الحبك المكاني في قصص القران ووصف مكان وأحداث القصة.
- **المطلب الثالث:** رسم شخصية ذي القرنين وتجسيد ملامحها في القصة.
- **الخاتمة والنتائج للبحث.**

وفي خاتمة هذه الرحلة ذات المسافات الشاسعة في ثنايا القصة التي جاب فيها ذو القرنين الأرض من مشرقها إلى مغربها جملة واحدة اكتفى بها في قمة تمكينه وفي خضم إنجازه (هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي) وأنا اختم هذه الديباجة بالحمد والثناء والفضل لله تعالى الذي من علي بإخراجه على هذا النحو، وأسأل الله تعالى القبول والتوفيق والسداد؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين.

المبحث الأول

روعة القصص القرآني وتنوع أساليبه في السرد

لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين، الذين رأَوا فيها معينًا لا ينضب من الجمال والجلال، وحسن العرض وقوة التأثير.والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا تنضب مادته، وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن؛ ليكون ذلك القصص هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم فالله تعالى يقول﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [(١)] ؛ لذا كثرت الدراسات والبحوث التي تسعى إلى دراسة القصص القرآني لإبراز القواعد والمقاييس النقدية في البناء الجمالي للقصة القرآنية، التي يمكن استثمارها لقيام رؤية نقدية إسلامية، تقوم على الخصائص المتميزة لقصص القرآن.

المطلب الأول : أساليب القصص القراني وتعريف بالقصة وعناصرها.

١- معني القصة في اللغة والقرآن الكريم :

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا، قال تعالي (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)[(٢)]. أي تتبعي أثره.وقال تعالي (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) [(٣)]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، والقص : البيان.قال تعالي : "(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [(٤)]...أي نبين لك أحسن البيان.ومنه قوله تعالي : (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ ي تَفَكَّرُونَ) [(٥)]. وقوله تعالي : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [(٦)]، والاسم منه القص.والقاص من يأتي بالقصة علي وجهها.لأنه يتتبع معانيها

(١) يوسف : ٣.
(٢) القصص :آية ١١.
(٣) الكهف : آية ٦٤
(٤) يوسف :آية ٣.
(٥) الأعراف : آية ١٧٦.
(٦) غافر : آية ٧٨.

وألفاظها.أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر، وجمع القاص : قصاص بضم أوله، وقص الشيء : قطع من باب رد....واقتصصت الحديث رويته علي وجهه، والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر.كالقصص بالفتح، وتجمع علي قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص.

والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتي صار أغلب عليه(١).

ومما تقدم يتبين لنا : أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعني القرآن الكريم.كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها علي وجهها.ويؤيد ذلك أن القصص بمعني القطع.فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته.دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعني اللغوي علي أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها.فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا تري أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة.لأن القاص تتبع الأثر، وأتي به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

معني القصة في القرآن الكريم : على هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)(٢). أي الخبر الصادق. وقال تعالى :(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ (٣).. (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) (٤).

فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو: إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة" (٥).

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين....إلي غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم، أما حكاية القرآن عما حدث لسيدنا محمد ﷺ

---

(١) ينظر: تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية، صـ ٤٥٠٧، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين- بيروت ط٤ - يناير ١٩٩٠، ٣ / ١٠٥١، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، ص ٥٣٨، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت ص ٦٩٣.

(٢) آل عمران : آية ٦٢.

(٣) الكهف : آية ١٣.

(٤) القصص : آية ٣.

(٥) القصص القرآني، د.عبد الباسط بلبول، ص ٣٦.

مع قومه فلا يعد من قصص القرآن وذلك كغزواته وزواجه وما حدث بينه عليه الصلاة والسلام وبين أصحابه.يؤيد ذلك ويدل عليه قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ)(١).

وبهذا تري أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص علي ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعني الأدبي الحديث.وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، "وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري علي ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير مادامت لم تقع"(٢).

ذلك أن القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد علي كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه"(٣).

ولعل من الضروري أن أفرق بين القصة بهذا المعني - أعني في القرآن الكريم - وبين الأسطورة، "فالاساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور بالضم وبالهاء في الكل ... وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب، قال الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف"(٤).

وبهذا تري أن الأسطورة لا تطلق إلا علي الأكذوبة من الكلام، وعلي القول الذي لا يعقل كتأليف الأباطيل والخرافات، أما القصة القرآنية فقد بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التى لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه(٥).

والقرآن المصدر الأساسي للتشريع، وقد أتى بالقصة ومشاهد الدنيا والآخرة بأسلوب معجز وصور جمالية ذات تصوير أدبي دقيق، ولعل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، أول من وضح الجمالية

(١) طه : آية ٩٩.
(٢) القصص القرآني، د.عبد الباسط بلبول، ص ٣٦.
(٣) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط ١٣٨٤ ،١ ه/ ١٩٦٨م عبد الكريم الخطيب ص ٣٩،.
(٤) تاج العروس،١ / ٢٩٤٦.
(٥) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة ص ٤٠.

القرآنية في نسقه البعيد ونظمه الجميل [١]، وتابعه في ذلك الخطابي(ت ٣٨٨ هـ) ولكن عبر جمالية الألفاظ وإن لم يهمل دور المعاني في تأثيرها في المتلق [٢]، أما الباقلاني (٤٠٣ هـ)، فينوه بخاصية الجمالية في أنماط القرآن جميعها من غير تفاوت ولا تباين وهي جمالية النظم العجيبة التي يعجز عن أمثالها أرباب القصاصة والأدب [٣]، وقد نبّه الجرجاني (ت ٤٨٢ هـ) فيما بعد إلى انبهار العرب بجمال منفرد للقرآن الذي يسري في ألفاظه وآيه وسوره ومقاطعه[٤].

٢- عناصر القصة القرآنية: تقوم القصة على عناصر أو أركان عدة وسنعرض هنا كل عنصر على النحو الآتي:

أولا: عنصر الأحداث والحبكة: يعد هذا العنصر من أهم العناصر في القصص القرآني كله، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة أم بين بين، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم، وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد، وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معاً ؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده[٥]، وإذا كنا نرى القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب القاص على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتدرج وتتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، والقصص القرآني لا يعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وآثار السابقين لان تتبع الأحداث الماضية، وعرض أنباء الأولين هو الذي يحقق المقصود والأسى من هذه القصص[٦].

وإذ يشمل عنصر الحدث على صور عديدة من الحوار والجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقدته ؛ فإن القصص القرآني لم يعمد في عرض هذه الأحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بغير ألوانها أو أن يبدل ويغير من صورها وأشكالها [٧].

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ ،ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال - لبنان، بيروت ،طبعة ٢٠٠٨ م، ٢/ ٤.

(٢) ينظر: بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي(ت ٣٨٨ هـ(القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٣٢ م، ص ٢٦-٢٩.

(٣) ينظر : إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلايي (ت ٤٠٣ هـ)، دار المعارف،.القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٥

(٤) ينظر : دلائل الأعجاز ،عبدا لقاهر الجرجاني)ت ٤٨٢ هـ)، وتصحيح وتعليق محمد.رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، ص ٣٢

(٥) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ،د.عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٣٤.

(٦) ينظر: الفن القصصي في القرآن، ،محمد أحمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية ،ط ٣، ١٩٦٥م ص ٢٨٨

(٧) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ثانيا: عنصر الشخصيات : عنصر الأحداث وعنصر الشخصيات هما العنصران الأساسيان في كل قصة، حيث لو الملامح، نتصور شخصا من غير أحداث تلم به أو تقع عليه ؛ لذلك فالعمل القصصي يقوم على محورين: الشخصية والحدث، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد أخرى[١]، ويلاحظ في القصص التاريخي، غلبة الشخصية على الحدث، فيكون الشخص محور الحركة في القصة أما القصص القرآني المعجز، فنرى فيه المزج التام بين الشخصية والحدث ثم إدارة المشاهد القصصية في هذا الفلك بحيث تكون المشاهد موزعة توزيعا محكما متوازنا، بين الشخصية والحدث حرصا من القرآن الكريم على الوحدة القصصية في كل صورها وأوضاعها[٢]، والمتأمل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن يجدهم يشتركون في الصفات والملامح، فهم جميعا بشر لا ملائكة وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري[٣] والشخصيات يشكلون الحركة الحّية في القصة؛ وكما هو واضح فالإحداث والبيئات لا قيمة لها إلاّ بقدر وجود (الحركة الإنسانية) عليها وحيال هذا فان انتقاء الشخصية وطريقة رسمها وإلقاء الأدوار عليها، يظل في الصميم من حركة القصة وحيويتها، ولقد حملت قصة ذي القرنين اسم بطلها (الشخصية الرئيسية المحورية) والذي بنيت أحداث القصة على ظهورها في أجزائها أجمع وهو ذي القرنين "ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وانه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر اهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا وقيل رسولا.."[٤].

ثالثاً : عنصر الزمن والمكان : للقرآن منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فنراه مثلا، إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة، ولا في أي سنة انتهت، ونراه كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ، بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو آلفين قبل الميلاد، أو بعده أو قبل البعثة، أو نحو ذلك، وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة القرآنية لا يضيف

(١) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص ١٤٩.
(٢) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص ٤٢-٤٣.
(٣) ينظر : أدب القصة في القرآن الكريم، ص ١٥٤.
(٤) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت، ١٠٣/٢.

شيئا إلى عبرة القصة ومغزاها(١).

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل، فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة، وحرص كل الحرص على التصريح بكل جريئة من جزيئات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتبارا، فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف، ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه؛ ليكون له مكانه الملحوظ في سير أحداث القصة(٢).

اعتبر عنصر المكان "وإن كان قوة عاملة في تشكيل الاحداث معالمها فإنه يجيء في المنزلة بعد الزمن بمراحل بعيدة" (٣)، والقرآن الكريم "لا يلتفت إلى المكان ولا يجري لهه ذكرا إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه"(٤).

وحينما ننظر إلى القصص القرآني المعجز من الزاوية المكانية فيه نجد إن القرآن الكريم ينظر ذلك المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان، فهو لا يعنى بذكر أسماء الاماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقم شواهد العظة والعبرة منه، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم، بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصة، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة ،تفتقدهما الحادثة إذا هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به(٥)

رابعاً : الأسلوب: وقد أشار الخطيب إلى أن القران الكريم التزم أسلوبا في عرض القصص القراني، يتحدث من خلاله عن حوادث وشخصيات قصص غفا غنها زمنها وذهب رسمها، يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون، ويجعلها كأنها ماثلة أمامك بلغة عربية فصيحة كل البعد عن التعمق والتشدق المذموم، وهذه أول أمارة من أمارات الصدق الذي لا يلتبس به تمويه أو خداع، وهو ما يليق بمقام القرآن الكريم، وجلاله أن يتلبس به شائبة تمس احق الذي نرل به (٦).

---

(١) ينظر: جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣ م، ص ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص ٢٥٦.

(٣) القصص القراني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، ص٨٠ ,

(٤) القصص القرأني ص ٩٢.

(٥) ينظر:القصص القرآني في منظومه ومفهومه، ص ٨.

(٦) ينظر : المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦.

كما يظهر ايضا في اسلوب القران عرضه القصصي اختياره للقطات الجيّة من الوقائع التاريخية، وعدم إثقال كاهلها بما هو ذو أهمية قليلة من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر البشري غن التدبر والاعتبار.

خامساً: الحوار: لقد سلك الحوار في القصة القرآنية مسلك التبسيط، ورسم فيها معالم الشخصيات الانسانية، وذلك بالتعبير عن كوامن نفسها وآرائها وموقفها، والصراع المحتدم في داخلها والقائم مع غيرها، ونقل أقوالها بدقة وأمانة بأسلوب بياني تتجلى فيه وجوه الإعجاز، منتقياً للقطات الموحية والمشاهد الحيّة التي تحقق الهدف وتفي بالحاجة، وتكون ذات دلالة ومغزى.

المطلب الثاني: جمالية الأسلوب القصصي في قصة ذي القرنين

لقد تنوعت الأساليب في القرآن الكريم، ما بين الاقناع والتأثير، لما جاءت به العقيدة من تشريع وحقائق في عالم الغيب، لذا كانت جمالية التعبير القرآني في أسلوبه هي الصورة الفنية وأحد هذه الأساليب التي "تؤدي دورها على أنه طريقة في الإقناع ونحص على اثارة طريقة الانفعالات في النفوس، على النحو الذي يؤثر في المتلقي ويستمليه إلى القيم الدينية السامية" (١).

والجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه، وأسراره وأساليبه عبر الموضوعات القرآنية المتعددة، وبتعبير أدق؛ فإن الجمالية أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو : المفردة، والتركيب، والصورة الأدبية ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم، وسيرة (ذي القرنين) تزخر بالجمالية ذات الأساليب المتنوعة وكل ذلك قائم على جمال اللفظ والمعنى، وحسن تركيبهما في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني، إذ اشتملت على كل عناصر القصة الأدبية والمشاهد التصويرية بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث وكأنه ماثل أمام ناظريه ،وبأسلوب فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها القصصي الممتع، وسنتكلم عن أبرز سمات الجمالية في القصة القرآنية التي وردت في قصة (ذي القرنين) وكان أبروها :

١- جمالية التصوير لأسلوب القصة :

- **التصوير الفني وجماليته :** من أشكال التصوير العميق في هذه القصة هو التصوير بالتشبيه الذي يصل إلى صهر المشبه بالمشبه به، ما في قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ص٣٢٣.

قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (١).

إن من جماليات التعبير ما يتمثل فيه من انتظام في النظم، ولعل التكرار المنتظم في الآية ظاهر في اللغة وترتيبها لتشكل نسقاً فاعلاً (حتى إذا)، ومما يزيد جمال التعبير الجمالي الذي يظهر في (حتى إذا جعله نارا)، أي جعل زبر الحديد كالنار، فقد أحمي على الحديد فوصلت حرارته ولونه إلى أن تماهى مع النار، فأصبحت العلاقة أعمق من تشابه ظاهري إلى علاقة إنصهار بين طرفين، فالتشبيه البليغ يقرب بين الأشياء المتشابهة إلى درجة التماهي والإنصهار، مما يجعل السامع ينظر فيتخيل ناراً انبعثت من الحديد لشدة حرارته.

وكذلك مما ورد من جمالية النص في هذه القصة القرآنية قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ (٢).

المقصود بـ(الدكاء) هنا هي الناقة التي ذهب سنامها، ولا يحدث ذلك إلا بعد أمر عظيم يحصل لها من شدة جوع أو عطش أو سفر(٣)، وفي علاقة مشابهة تمتاز بدقة مأخذها والدخول بين طياتها لتظهر صورة الردم العظيم، ولأمر ما بعد هذا العظيم يزول، فلا غرو أن زواله يكون لأمر كما كان زوال سنام الناقة، فيشعر الإنسان بمهابة عظيمة أمام أمر جلل.وهذه الصورة تكون أشد تأثيراً على من تعايش مع ظروف حياتها وحيواناتها، واه قدرة على التخيل وهذا كان في زمن نزول القرآن الكريم ولا تزال الصورة حية في النفوس.

- **أسلوب المفاجأة :** إن الصورة الفنية المؤثرة هي «التي تحدث مفاجأة وهزة شعورية للمتلقي ؛ بما تقدمه من متعة جمالية مؤثرة ومن هنا تكون الهزة المفاجأة التي تصنعها الصورة وتكون حالة الارتياح والتوازن بعد قراءته»(٤)، فمن المشاهد المفاجأة في قصة ذي القرنين التي ستكون مثاراً للدهشة والاستغراب يوم القيامة هو الردم على قوته التي وصفت سيكون على صورة يوم القيامة كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ (٥).

- **إظهار البعد النفسي :** تمر الحالة النفسية بمراحل مختلفة، ولذا تأخذ طابعا معيناً مع كل حالة، فيؤثر ذلك على اللغة المستعملة مفردات وتراكيب ،واسم إشارة، ففي أسم الإشارة للقريب

(١) الكهف : ٩٦.
(٢) الكهف : ٩٨.
(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى،، ٥٤٤/٣.
(٤) الصورة والبناء الشعري، عبدالله محمد حسن، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٣٣.
(٥) الكهف : ٩٨.

في قوله تعالى : ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[١]، يفيد الارتياح النفسي الذي مبعثه من الرحمة التي دلّ عليها اسم الإشارة هذا مما جعل الحديث عنه مريحا نفسيا ؛ وذلك لقربه من المشهد نفسياً ومكانياً.

- **الترابط بين سياقات الآيات :** ورد مقطع القصة في بداية أمره، كما أخبرنا الله تعالى بأنه آتى ذا القرنين القوة والأسباب التي يحتاج البها لبسط ملكه وسلطانه، قال تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[٢]، قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه : « سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له في النور فكان الليل والنهار عليه سواء»[٣].فالله تعالى قد هيأ له الوسائل السليمة التي توصله الى غايته النبيلة.وفي منتصف القصة أشار الله تعالى علمه وإحاطته بحال ذي القرنين، حيث قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾[٤]، « أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكاؤه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها»[٥].

وفي نهاية القصة عقّب الله تعالى على لسان ذي القرنين الذي أرجع القضل فيما وصل إليه إلى الله تعالى، حيث قال : ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[٦].وفي ذلك قمة الأدب من قبل ذي القرنين، فما تحقق من تمكين في الأرض، وبسط للسلطان، لم يكن ليتحقق لولا رحمة الله تعالى وفضله وتوفيقه.

٢- جمالية الصوت: إن لدراسة المقاطع أثراً متميزا في الدراسات الأدبية الحديثة التي تعتمد في تناولها إمكانات اللغة المختلفة وهذا جانب يمتاز بالحداثة، وأكثر ما يلح في التعامل مع النص القراني والشعر « إن دراسة الأنظمة الصوتية يعد بحق من المباحث المجددة في جوانب الدرس اللساني الحديث، وأنها تقدم خدمات جليلة لتفسير الظواهر اللغوية في ميدان متعددة البنى الصرفية والصوتية «[٧]

---

(١) الكهف : ٩٨.

(٢) الكهف :الآية ٨٥.

(٣) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة، ٤٨/١١، وتفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢٤٢/٥، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الآلوسي ٣٠/١٦.

(٤) سورة الكهف : ٩١.

(٥) البداية والنهاية ١٠٨/٢.

(٦) سورة الكهف : ٩٨.

(٧) هندسة المقاطع الصوتية، عبدالجليل عبدالقادر، ط١،عمان، دار الفاء للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٤٩-٥٠.

- **الحركة القوية :** تتابعت الحركة مع الأصوات الانفجارية لتلائم قوة المعنى في قوله تعالى ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [١]، الصوت الانفجاري فيه ملمح من القوة والحركة، فكانت حركات ذي القرنين - بما وهبه الله تعالى من قوة - قويةً، وتظهر فيها السرعة في التحق والإنجاز وتتكرر العبارة ثلاث مرات لتظهر تلك الحركة الفاعلة.

- **التخيير :** وهو التخيير بين أمرين أو أكثر، يكون المُخيَّر قادراً على الأخذ بأحدهما، فيتساوق الأسلوب بين الطرفين، كقوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [٢]، فالخطاب موجه لذي القرنين، وهو في موضع تمكين من الله، وأعطاه حرية الاختيار بين التعذيب أو الإحسان إليهم، فعامل كلاً منهم حسب ما يستحق، وعاد صوت النون بقوته يتكرر ست مرات، فأعطى قوة تظهر من ثنايا الموقف الدال على الاختيار، فكان الرد بعد الاختيار بقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [٣]، فظهير الصوت المفخم في (ظلم) لينبه بقوة إلى النتيجة بعد الإختيار، فالظلم عظيم وعاقبته وخيمة.

- **اللفظ والمعنى الصوتي :** ربط بعض الباحثين بين اللفظ والمعنى، وأن العبارة قامت على التوازن بين اللفظ والمعنى، فالمعنى الصعب (النقب أخذ اللفظ الطويل (استطاعوا) الذي زادت حروفه، وكذا الحال بالنسبة للمعنى السهل (أن يظهروه) أخذ اللفظ السهل اسطاعوا، ومما يؤكد ذلك التقطيع المقطعي : (فما اسطاعوا أن يظهروه / وما استطاعوا له نقبا)(ب.....ب../ ب..ب..ب...) فقد زادت المقاطع الصوتية ذات الطابع المريح مع الصيغة الأولى لتناسب طبيعة المعنى، ومع الصيغة الثانية زادت المقاطع القصيرة، ذات الطابع السريع وفيها ظلال من الصعوبة، فتناغم المعنى مع التوزيع المقطعي.

* * *

(١) الكهف : ٨٥.
(٢) الكهف : ٨٦.
(٣) الكهف : ٨٧.

المبحث الثاني

بناء الشخصية في القصص القرآني ويقسم

المطلب الأول: روعة التصوير وبناء الشخصية القصصية في القران الكريم.

تظهر أهمية الشخصية القصصية عندما تسند إليها أدواراً داخل القصة، وتصدر عنها عبارات وأفكار تؤدي الى تحريك القصة، وعليها يكون محل اهتمام القارئ في تتبعه لكشف حوادث القصة، إن الطريقة التصويرية تفضل التعبير بالمعنى المجرد الذي يؤدي الدلالة الذهنية فحسب، وهو وسيلة التعبير عن أغلب المواضيع القرآنية من أمثال وقصص وحالات نفسية و حوار... فيتحقق التأثير بطريقة فنية، حتى لكأن العين ترى، والأذن تسمع، والأنف يشم، واليد تلمس ذلك أن المقصود بالفن في القرآن هو جمال العرض بهدف التأثير الوجداني [١]، إذن فشخوص القصة القرآنية من خلال التتبع ينقسمون إلى قسمين متضادين بحسب الحاجة لورود القصة: أحدهما يحوي الشخوص المثالية والجوانب الإيجابية، والآخر يحوي الأشخاص السلبية الذين يوضعون للعبرة والدرس؛ لأن ما ورد لا يحيد عن الحق الذي يبنى على حقائق ثابته بعيدا عن زخرف القول والأباطيل [٢].

ولعل أهمية الشخصية تكمن بأنها مركز احداث القصة حولها؛ وتصوير الشخصية بعالمها الحي، والقران الكريم حيث عنى بجانب الشخصيات فيها ولم يعن برسم الخطوط الشكلية للشخصية بإبراز ملامحها الخارجي؛ انما اهتم بالكشف عن مزاج الشخصية وموقفها الفاعل في احداث القصة، فتأتي الشخصية في القصص القرآني بارزة حتى وان لم يذكر اسمها ؛ لأنها تعبر عن الانسان بكله وهنا تكمن الروعة والجمالية في قصصه، فالناظر في القصص القرآني يرى أن مذهبه في رسم الاشخاص وتصويرها هو المذهب غير المباشر، من حيث عرض الشخوص في تفكيرها واعمالها وحركاتها، فهي ليست مقصودة لذاتها، وانما هو الحدث الذي جرت حوله القصة، الذي يعد الهدف الأساس من سياق القصة كالعبرة والعظة [٣].

---

(١) ينظر: البعد التصويري في القران الكريم رسالة ماجستير اعداد مريم سعود، نوقشت بتاريخ ٢٠٠٥م، ١\٧.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القران الكريم التهامي نقرة، الشركة التونسية للطباعة الطبعة الأولى ١٩٧٤م ١\١٥٦.

(٣) ينظر: الشخصية في القصص القرآني دراسة نقدية تحليلية، خالد سليمان عيد الدولات الجامعة الأردنية في عمان، ١٩٩١م، ١\٣٧.

كما أن الصلة بين الحدث والشخصية، اقوى من ان يدلل عليها، لانهما العنصران الرئيسيان في القصة، نعم قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية الى الحدث دون الشخصية بما يخدم الفكرة الرئيسة لورود القصة، كأن يخلق جواً ملائماً من رهبة او رغبة مما يشد انتباه القارئ ويزيد شغفه بمتابعه الحدث الذي قد يأتي بهيئة وصف أو مشاعر نفسية تعبر عنه او مقرونا بزمن وكيفية وقوعه وهكذا هي جمالية القصص القرآني في الدقة والبلاغة في التعبير الفريد بأساليب متنوعة تعرض الاحداث أما سرداً، أو حوارا قصصياً، أو يكتفي بالإشارة اليه بما يخدم الغاية من وروده إن كانت اجابة للسائلين، أو انكاراً للمكذبين أو تسلية عن نبيه ﷺ، وقصة (ذي القرنين) هي إحدى تلك الروائع من قصص القران التي تميزت بأسلوب السؤال والجواب في مطلعها ثم السرد القصصي والوصف لأحداثها، فتكاد تخلو من اسلوب الحوار إلا في موضعين او ثلاثة [١].

وقصة ذي القرنين رغم ورودها مجتمعة في موضع واحد من السورة؛ إلا أنها جاءت مختصرة بحيث أشبهت القصة القصيرة أو (الأقصوصة) التي تعالج مسألة معينه، أو تظهر جانباً أو تجيب عن تساؤلات في نفس القارئ، إذ دارت أحداث القصة حول شخصية تاريخية معينه، صورتها لنا الآيات بأدق معاني التعبير، وألخص المفردات لترسم لنا شخصية القائد الذي ورد السؤال عنه، بما يلائم طبيعة السؤال هذا ويلم بجوانب الحدث بموضوعية غاية في الروعة بعيداً عن الاسهاب والتفصيل [٢].

بدأت القصة بسؤال عن شخصية وانتهت ببيان حالها يرافقها تصوير متقن متسلسل ودقيق للأحداث الزمانية، والمكانية، والظروف التي عاصرت الشخصية بشكل موجز وجميل بحيث خرجنا بتصور واضح عن شخصية (ذي القرنين) إن كانت صالحة أو سيئة؟ أو أنها نبي مرسل أو قائد محنك كل هذا نستشف معانيه من وصف القصص القرآني للشخصية وما دار من احداث ليرسم لنا الملامح بكل شفافية ووضوح رائعين، حين تجتمع الكلمات القرآنية لتؤلف جملاً قرآنية وتجمع الجمل لتؤلف الصورة وتجتمع الصور لتؤلف المشهد القرآني الذي تتحرك فيه الصور بحركة تأخذ بالألباب وترسم أبطال القصة القرآنية بشكل واقعي بعيدا عن الأسطورة والخرافة، بحيث يمكن ان يكون نموذجا حياً مثله، وتظهر طريقة الوصف التصنيفي لشخصية ذي القرنين، حيث تطلعنا أحداث القصة على ما يأتي [٣]:

---

(١) ينظر : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ١١٤\٧.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لمحمد بن طاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤م، ٤٠\١١٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، ٣٧٠\١١٥.

١. تلقيبه بذي القرنين لبلوغه قرني الشمس مشرقها ومغربها.
٢. بلوغه مغرب الشمس ومطلعها.
٣. التقاؤه بعدة أقوام كفار وآخرين لم تصلهم الحضارة فضلاً عن قوم اشتكوا من إفساد يأجوج ومأجوج.
٤. بناء السد ليمنع إفساد يأجوج ومأجوج والسعي للخراب في الأرض المعمورة.ومن أمثلة الوصف التصنيفي للشيء السد الذي بناه ذو القرنين: حيث تطلعنا أحداث القصة على أوصاف السد بأن جمع تكاليف إنشاء السد من القوم الذي لا يفقهون قولاً (الخرج) شرط بناء حاجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وهذه تصور لنا نزاهة القائد وامانته حيث رفض أخذ المقابل على بناء السد، ثم الردم بقطع الحديد وكيف أفرغ القطر عليه بحيث تعذر استطاعة يأجوج ومأجوج اجتيازه أو أن يثقبوه مطلقاً[١].

لقد رأينا كيف تعمل الشخصية على قيادة الأحداث والتفاعل معها وتنظيم الأفعال بما تناسبها من الحركات لذا لا بد ان يرتبط حدث القصة بالشخصية ارتباطاً وثيقاً إذ تمنح الشخصية للقصة "القوة والإثارة فتصاحبها في التطور بعد ان تنمو وتكبر، وتتسع علاقاتها وتتشابك روابطها كأنها وحدة متشابهة حية.إذ لا يمكن الوصف في النظر الى الوقائع والأحداث فحسب وإنما يحاول من خلاله الكشف عن خبايا النص القصصي ومكونات الشخصية" فهو لا يأخذ بعين الاعتبار الأحداث والأعمال التي تتضمن القصة وإنما يسعى الى الكشف عن الأشياء ومكوناتها والأشخاص وطباعها الخلقية، ونلمح في شخصية ذي القرنين أنها عرفت بالطواف وبلوغ مشارق الأرض ومغاربها ومقاومة المفسدين وإنصاف المظلومين بإقامة صرح العدالة ولم يذكر القران سبب تسميته (ذي القرنين) وكأنه معروف عندهم لكنهم سألوا عن أخباره.

المطلب الثاني: الحبك المكاني في قصص القران ووصف مكان وأحداث القصة

يجمع الدارسون في العصر الحديث على أهمية الصورة الفنية كلبنة أساس في القصص لكنهم بالرغم من ذلك لا يزالون مختلفين حول إعطاء تعريف محدد لها، و كل التعريفات الموجودة هي عبارة عن رؤى أحادية من زوايا نظر معينة ويعزى السبب في ذلك إلى كون الصورة ذات دلالات مختلفة، وانطلاقاً من هذه الشمولية وهذا الاتسا ع فقد تباينت التعاريف للصورة الفنية في القصة

(١) يقع السد الذي بناه ذو القرنين على مدينة باب الهند على طريق سمرقند والهند، والمقصود بالسدين الجبلين بين أرمينيا وأذربيجان أي ارض الترك مما يلي المشرق.

وبصورة عامة فهي تمثل اللقطة التي تسجل وضعاً معيناً لشيء، سواء أكان حياً أم ظواهر طبيعية، وهذا ما يصنعه بطل القصة، فتتميز اللقطة التي يسجلها في وضع معين بأن تضفي حياة على ما تصور، ولا تثبته في وضع معين جامد، بل تمنحه من الحركة واللون و الإيقاع، ما يجعله ربما أجمل من واقعه، و أكثر من ذلك أن المصور الفني للحدث والقصة يضفي من روحه و ذوقه و ثقافته على الصورة الفنية ما يعجز المصور بالآلة عن الإتيان به، [١] وثمة ما يربط الصورة الفنية بالإحساس في اغلب القصص القرآني على اعتبار أنها وسيلة لإثارته، فنجاح النص رهن بإحداث تغيير شامل في مجمل حساسيات الأفراد، والصورة الفنية تجربة نفسية يعيشها المرء فتكون وسيلة يحاول بها القاص نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه أهمية العاطفة بالنسبة للصورة فتصبح معيار للعبقرية حين تشكلها عاطفة [٢]، هذه العاطفة تعطي طابع الوحدة والتماسك لكل أجزاء الصورة إذ أن للألفاظ والعبارات التي ترد في القصص القرآني إيحاءات ودلالات تحرك النفس مما يضفي عليها نوعا من الإحساس، وخلاصة القول أن مفهوم الصورة الفنية يتسع لكل ما ذكر، لتصبح شكلا فنياً قائما بذاته، تسهم في بنائه جميع الأشكال الفنية المتاحة من ألفاظ وعبارات، فقصة (ذي القرنين) تتخذ نظاماً معينا في سياق خاص لأجل التعبير، والتأثير في نفس القارئ، اعتمادا على تفجير الطاقات الكامنة في اللغة من دلالة وتركيب وإيقاع، وحقيقة، ومجاز، وتضاد، وما إلى ذلك من وسائل التعبير الفني [٣].

تعريف الحبك: إن الحبك في أصل الاشتقاق اللّغوي هو الشد، و المحبوك ما أجيد عمله، وأُلمحكم الخلق، وقولنا : حبك الثوب يحبكه حبكًا: أجاد نسجه وحسن أثر الصنعه فيه و إن الحبك من أبرز معايير النصية التي تجعل النص كلا موحدًا متماسكًا دالا، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة وبإسقاط المدلول اللغوي لجذر حبك في الفن القصصي، نستنتج أن حبك الأحداث إنما هو إحكام شدها بربط بعضها إلى بعض لتكوين نسيج حكائي متماسك وموحد، ومنسجم لا يخلو من أثر الإجادة في الصنعة و الابتكار [٤]

فالحبكة: هي فن ترتيب الحوادث وسردها وتطويرها إذ تكون الوقائع متصلة ببعضها البعض، وكأن كلا منها عّلة لما سيليها، بحيث أن سابقها مستدرِج للاحقها في سياق الحكي، وإن هذا الترابط المتين بين الأحداث الفنية في القصة، والقائم على مبدأ السببية، يجعل الحدث السابق

(١) ينظر: الصورة الفنية في شعر المتنبي لمنير سلطان، منشأة الاسكندرية ص ١٤٩.
(٢) ينظر: أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ص ٢٣٢.
(٣) ينظر: الإتجاه الوجداني في الشعر العربي عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، بيروت، ص ٤٢٥.
(٤) ينظر: فن القصة محمد يوسف نجم دار الثقافة بيروت ط ١٩٧٩ر١، ص: ٦٣.

سببًا للحدث اللاحق الذي يكون هو الآخر نتيجة له [١].

إن الإعجاز البياني واحد من اوجه الإعجاز، فأسلوب القرآن في منتهى الروعة والإتقان إلى حد العلم بعجز الخلق عن الإتيان بآية مثله؛ متميز في أسلوبه عما سواه، خارج عن معهود كلام العرب، معجز للناس، وللعرب تحديدا إذ إنهم أهل الفصاحة والبيان، ولابأس من ذكر اهم خصائص الاسلوب القصصي القرآني:-

أولا: جريانه على نسق بديع خارج عن المألوف: فالقرآن ليس على أعاريض الشعر، ولا على سنن النثر، لكن مع ذلك بضع آيات منه تشعر بإيقاع موزون من تتابع آياته، بل يسري في صياغته وتآلف كلماته تناسقا عجيبا بحيث يؤلف اجتماعها إلى بعض صورة حسية رائعة.

ثانيا: جريانه على مستوى رفيع واحد على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات: وهي خاصية من أجلّ مظاهر الإعجاز في القرآن، و هي أنّ التعبير القرآني يظل جاريا على نسق رفيع واحد من السمو في جمال اللفظ، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص، والمواعظ، والحجج، وتلك حقيقة ظلّت مستحيلة على الزمن لدى جميع من عرفنا وسمعنا بهم من فحول العربية والبيان، أما في كتاب اللّه فلا تجد الصياغة إلا في أوج رفيع من الإشراق والبيان [٢].

ثالثا: صلاحية صياغته لمخاطبة الناس عامة على اختلاف ثقافاتهم وعصورهم، وهناك الكثير من الخصائص الفنية إلا ان ما يهمنا هنا هو النقطتين السابقتين بالذكر لتعلقهما بموضوع الدراسة هنا.

والآن لنقف مع النظم القرآني في سياق قصة (ذي القرنين) فإنه ينقل اَلمشاهد بأبعادها، وأعماقها، وحركاتها، وسكناتها، بوسوسة خواطرها، و هجسات نفوسها، ثم لا يكون ذلك كله إلا بلقطات معدودة أو مشاهد محدودة، تجعلنا نقف على احداث دارت حولها القصة بشكل دقيق وهي من روعة السياق القصصي القرآني [٣]، هذا وتخضع قصة ذي القرنين شانها شان كل سورة قرآنية لحبكة تشدها، وتربط أولها بآخرها، في بنية كبرى تجمعها، وّلما كانت القصة القرآنية تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجًا عضويًا لا مجال فيها للفصل بينها وبين

(١) ينظر: التقنيات الفنية و الجمالية المتطورة في القصة القصيرة : حسن غريب أحمد، منتدى القصة العربي منتديات القصة العربية القصة و النقد :.2006/09/ يوم : 13، http://www.Arabic story.net/index.php.

(٢) ينظر: من روائع القرآن الكريم.تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز وجل.محمد سعيد رمضان البوطي: مؤسسة الرسالة.بيروت سنة ١٩٩٦، ص١١١.

(٣) ينظر: القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ص٦٥.

غيرها من موضوعات السورة، فقد خضعت هي الأخرى لحبكة تشد إليها كل مكونات القصة، وهذا ما يستدعي حتمًا انسجام البنيات الصغرى واتحادها لتصب في قالب واحد، هو البناء الكّلي للحكاية.

ومن البنيات التي تكون القصص(البناء المكاني)، حيث يلعب المكان دورًا هامًا في بناء القصة وفي تركيبها، فهو الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانًا لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث، وهذه الشخصيات، ومشحونًا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان، فمن المسلمات في القصة أن عنصر المكان لا يكتسب أهمية إلا إذا عبر عن أبعاد النماذج الإنسانية النفسية والاجتماعية، ذلك أن توظيف المكان في الإبداع القصصي من الوسائل الفنية ذات الأعماق البعيدة [١].

ولا تخلو القصة القرآنية من هذا المكون السردي، فهو القاعدة المادية الأولى التي ينهض عليها السرد، غير أنه لا يتمتع بالشيوع والأهمية التي لغيره، ولم يوف حقه من البيان[٢].

وكل قصة لا تخلو من الأحداث المتنوعة، وبتعدد الأحداث، تتعدد الأمكنة في القصة الواحدة (مطلع الشمس) (مغرب الشمس) (بين السدين) (عين حمئة)، وهذا التعدد يكشف عن الدلالات، وينتقل بها على الصعيد السردي من مستوى إلى مستوى آخر [٣].

وقد يخضع هذا التعدد لخاصية تضبطه وهي التلاحم المكاني، وهذا يحدث إذا ما حافظ القاص على وحدة الموضوع ووحدة الانطباع، وأقام الربط بين العلاقات المختلفة، فتبدو الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية حقيقيتين متكاملتين في عرضه القصصي.

يُعد الوصف من أهم الأساليب في تقديم المكان إذ يعمل على تشكيل المكان وتقديمه ومنحه حضورا وعمقاً دلالياً إذ إن المكان لا يكون فارغا، ومهمة الوصف أن يملأه بوصف ما يحتويه من أشياء لها علاقات بشخصيات القصة لذا يعد المكان وعاءً للحدث وللشخصية وفيضاً من المعاني والقيم ومظاهر الحياة التي تعيشها الشخصيات أو يحتوي على الأحداث التي تنمو مسيرتها ضمن إطار لها ولغيرها من عناصر القصص إذ يكشف المكان عن وقائع الموصوف وتفصيلاته ويثير إحساساً بالمواطنة فيؤدي الى تعميق الصلة بينه وبين الشخصية، ويرتبط المكان وتتسع دلالته بما ترتبط به من سياقات نفسية واجتماعية ومن ثم يرتفع المكان الى درجة النموذج التصويري وعليه يظهر المكان في القصة القرآنية من خلال أسلوب القرآن الكريم وتناوله ودقة

(١) ينظر: الحبك المكاني في السياق القصصي لسورة يوسف، رسالة ماجستير للباحثة آمنة عشاب، ٢٠٠٧م، ١/٥.
(٢) ينظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث.
(٣) ينظر: الوصف في سورة الكهف دراسة تحليلية، د.يوسف سليمان الطحان، ٢٠١٣م ١/٣.

وصفه إذ انه يحدد أبعاده وتضاريسه وأشياءه، حتى يشعر القارئ بما يحيط بالمكان(ومن أمثلة وصف المكان(ومن أمثلة وصف المكان مغرب الشمس في قصة ذي القرنين: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا** [١] إن الرائي يرى أن الشمس تضرب وراء الأفق، وهذه الرؤية تختلف بالنسبة للمواضع اذ ان "بعض المواضع يرى الرائي فيها ان الشمس تغرب خلف جبل، أو في الماء أو في الرمال، والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل الى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي وكان يسمى بحر الظلمات، ويظن ان اليابسة تنتهي عنده فرأى الشمس تغرب فيه وبما ان الناس قد اعتقدوا ان الأرض مسطحة ولها مشرق واحد وهو بداية الأرض من جهة الشروق ولها مغرب واحد هو إنها تتجه من جهة الغروب بحسب رأي العين فأن الشمس تبدو وكأنها تغرب في عين طين أسود بسبب زرقة المياه الشديدة في المدى البعيد.

إن لورود المكان في قصص القرآن غاية قصوى فضلا على أهميته كمكون سردي في القصة الفنية التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، فالقصة القرآنية غرضها ديني، وفي خضوعها لهذا الغرض تمتاز بخصائص فنية تجعلها توازي البناء الهندسي للقصة الفنية الحديثة، وهذا ما يجعل للمكان دلالات أقوى، ثم إن العلاقات التي تربط بين الأمكنة تكشف عن خاصية الحبك القائمة بين الأمكنة، والتي تشكل غرزة من غرز الحبكة القصصية، حيث لا يمكن إسقاطها من النسيج الفني ذلك أنها تخدم غاية القصة، بالإضافة إلى أنها تضفي جمالية على النص.

وخلاصة القول: أن للمكان دور هام في بناء القصة و في تركيبها، إذ يتجاوز كونه الإطار الذي يحوي الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات، لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث وهذه الشخصيات، فهو بتأثيره يستقطب جميع العناصر الداخلة في تركيب السرد من شخصيات يراد لها أن تخترق المكان وتفعل فيه سلبًا وإيجابًا وأحداث يتعين أن تقع ضرورة في موضع معلوم، ومسار زمني يتبعه اتجاه السرد في توافق مع نسق مكاني محدد فالمكان تتفاعل فيه مكونات السرد من شخصية تقوم بالفعل، فهو بذلك حدث، والفعل يدل على زمن وهو مكون سردي أيضًا، إذًا فالمكان هو الجامع لحضور مكونات السرد بصورة متكاملة لإنتاج لغة سردية تتطور لتشكل خطابًا سرديًا [٢].

---

(١) الكهف الآية ٨٦.

(٢) ينظر: الخطاب القرآني لسليمان عشراتي /٩٥، وينظر جماليات المكان ودلالاته، سيزا قاسم دراز، دار عيون، الدار البيضاء، ٥٩/١.

المطلب الثالث: رسم شخصية ذي القرنين وتجسيد ملامحها في القصة

لم يرد ذكر ذي القرنين في أي سورة في كتاب الله إلا سورة الكهف؛ تلك السورة التي هي بلا شك أنسب السور لتلك الشخصية التي يميزها أبرز ما ميز قصص أبطال سورة الكهف الآخرين.قصص وأبطال لم يذكروا من قبل ولا من بعد في أي موضع من كتاب الله.أحداث متفردة ومناطق مختلفة لن تجدها إلا في هذه السورة فقط في سورة الكهف ستجد قصة صاحب الجنتين وستطالع ذكر الخضر وخبر أصحاب الكهف والرقيم الذين سميت السورة باسم كهفهم وطبعًا قصة ذي القرنين التي نتحدث عنها، كل هؤلاء لم يشر إليهم ولو إشارة في أي موضع آخر من القران الكريم.

ولعل أبرز ما تشترك فيه تلك القصص الأربعة وأبطالها هي الحركة: الحركة المستمرة، والسعي الدؤوب، والعمل لدين الله.إنها حركة تجعل القلب يلهث وهو يتحرك مع أصحاب الكهف إلى كهفهم هجرة بدينهم وما يلبث أن يستريح حتى يلهث مرة أخرى مع الرجل المؤمن وهو يدخل على صاحب الجنتين يدعوه ويعظه ويذكره بالله، ثم يهرع القلب سريعًا مع نبي الله موسى وفتاه في رحلة طويلة حتى مجمع البحرين يجوب قفارها وتتلاحق الأنفاس أكثر مع رحلات الملك العادل ذي القرنين وهو يجوب مشارق الأرض ومغاربها لنشر العدل ونصرة المظلوم حيثما كان حركة دؤوبة ومتنوعة ما بين هجرة لإقامة الدين إلى دعوة وأمر بمعروف ونهى عن منكر إلى طلب للعلم وارتحال وبذل لأجل تحصيله ثم جهاد ونصرة ونفع للناس.مع كل ظرف وتحت أي ضغوط أو مؤثرات هناك حركة من نوع ما.

وقصة ذي القرنين صفحة واحدة في كتاب الله لكنها جسدت الكثير من صفات القائد الناجح والتي لم يستطع العالم أجمع إلى الآن أن يجمعها في بحث واحد أو كتاب واحد لأنها جمعت جمعا عجيبا بين الصفات الفنية والأخلاقية الواجب توافرها في القائد الناجح والتي يمكن أن نحصرها في النقاط التالية:ــ

١. **التمكين :** فأول ما يستوجب تمام القيادة أن يكون القائد ذو صلاحيات تمكنه من تحقيق الأهداف المطلوبة منه ولهذا كانت بداية القصة وأول ملامح رسم الشخصية (إنا مكنّا له في الأرض.....)[١].

٢. **العلم :** حيث أنه وسيلة يتسبب بها الانسان إلي ما يريد وسبب لتحقيق الأهداف وتحصيل النتائج لذا كان علي القادة بذل الجهد في تحصيل العلم الذي يحقق متطلبات عملهم وهذه

(١) الكهف الآية ٨٤.

ثاني سمة من سمات شخصية بطل القصة كما صورها لنا القران الكريم (وآتيناه من كل شيء سبباً) [١].

٣. الأخذ بالأسباب: لم يكتف القرآن بتحديد العلم والأسباب التي هيئها الله تعالى له كصفة قيادة؛ بل كان له جهد مبذول للأخذ بالأسباب الموصلة للغاية فبين لنا أن هذه الشخصية علاوة على ما مكنها به ربها جل وعلا فإنها امتلكت القدرة على الأخذ بالأسباب (فأتبع سببا) [٢].

٤. المرجعية للقيادة: القيادة وفق منهج واضح المعالم قائم علي نظرية الثواب والعقاب ولا يترك الناس لهواهم وهي من روعة القران في رسم ملامح الشخصية القصصية، حيث يعطينا ملامح ثانوية ترسم من خلالها شخصية متكاملة قلبا وروحاً (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب و إما أن تتخذ فيهم حسنا)[٣] فللقائد الحق في معاقبة المقصرين وإقامة الشرع الصحيح، فهو بمثابة السلطة التشريعية.

٥. الحكم بالعدل: الحكم بين الناس بالعدل مبدأ يكفل راحة وطمأنينة الرعية والمرؤوسين ومن شاكلهم فالظالم يؤخذ علي يديه لتستقر الحياة و يأمن الناس (أما من ظلم فسوف نعذبه..... وأما من آمن وعمل صالحاً.....) [٤].

٦. التشجيع لإجادة العمل وتقديم الأفضل: النفوس مجبولة على شكر من أحسن لها ومحبته فيجعل من عمله حافزا له علي الإجادة والصلاح، وقد يكون أيضا بتذكيره بمردود هذا العمل عليه في الدنيا أو الآخرة (...فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) [٥].

٧. ديناميكية الحركة والنشاط: هنا السياق القرآني يرسم لنا شخصية القائد الناجح، فهو الذي يجوب نطاق عمله من أوله إلى آخره ولا يجلس في مقر قيادته وينتظر من ينقل إليه الأخبار ولذا طاف ذو القرنين في أرجاء ملكه شرقا وغربا ليحقق ما أراد الله منه باستخلافه في الأرض والذي يظهر بوضوح في الآيات (حتى إذا بلغ مغرب الشمس.....)، (حتي إذا بلغ مطلع الشمس....) [٦].

---

(١) الكهف الآية ٨٤.
(٢) الكهف الآية ٨٥.
(٣) الكهف الآية ٨٦.
(٤) الكهف الآيتان ٨٧، ٨٨.
(٥) الكهف الآية ٨٨.
(٦) الكهف الآيات ٨٦، ٩٠، ٩٣.

٨. التواصل مع الرعية والاستماع للشكوى: لابد للقائد الناجح من فتح قنوات اتصال بينه وبين من هو مسؤول عنهم وأن يستمع إليهم كافة دون تمايز بطوائفهم و أن يكون الاتصال مباشرا دون عائق ليسهل عليه الوقوف على السلبيات والايجابيات في حكمه ويشركهم في الرأي لوضع حلول تتعلق بالحكم (قالوا يا ذا القرنين.....) (قال ما مكني..) [١]. يا له من تصوير رائع للشخصية القصصية بكل تفاصيلها وكأنها ماثلة للعيان.من خلال موقف يمر عليه الكثيرون مرورا عابرا لكنه يرسم مجموعة من الصفات الأخلاقية في القائد عندما يعرض عليه رعيته مكسبا دنيويا مقابل القيام بعمل لهم، فيرفض رفضا قاطعا ويفضل ثواب الله عليه (....فهل نجعل لك خرجا علي أن تجعل بيننا و بينهم سدا...قال ما مكني فيه ربي خير...)[٢]، ومن الصفات المستنبطة من هذا الموقف الرائع؛ غلق باب الكسب غير المشروع، فلا يحق للقائد أخذ أجر على عمل مكلف به أو من ضمن مسؤولياته المناطة به، فلا يقبل هدية أو عطية بسبب منصبه أو ما مكنه الله له، وبهذا المعنى أخرج البخاري حديثاً في صحيحه: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: «فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثا [٣].كما ان التصوير القرآني لشخصية (ذي القرنين) يظهر لنا جانب الإحساس بالمسؤولية عندما يشعر القائد بها تجاه من يقودهم فإن هذا يكون دافعا لتحقيق مصالحهم دون التكسب من وراء ذلك، فالعفة و طهارة اليد للقائد الحق وهو من لا يستغل حاجات رعيته وينهب ثرواتهم بحجة أنه يقوم على رعايتهم وتحقيق مصلحتهم فنصرة المظلوم واجب لا يحتاج إلى مقابل والمشهد يصور ثمار العمل الجماعي في قوله (فأعينوني بقوة.....)[٤]، والتوظيف الأمثل للطاقات البشرية فلقد صور المشهد كيف وظف ذو القرنين طاقات القوم فيما يحسنوا و طلب منهم العون بالقوة و ليس بالمال أو العلم وأشركهم في العمل ليكون التعليم واقعا عمليا ملموسا و ليس نظريا، فمن خلال

(١) الكهف الآيات ٩٤، ٩٥.
(٢) الكهف الآية ٩٤، ٩٥.
(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، والمسمى الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير , اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، برقم (٦٧٥٣) ٢٦٢٤/٦.
(٤) الكهف الآية ٩٥.

مجريا الأحداث أمكننا ان نعرف شخصية البطل للقصة بكل ملامحها، وهو ببساطة قائد محنكاً متمكناً حقق المهام المناطة به بأيسر الطرق و أقل خسارة ممكنة فلقد كان ممكنا لذي القرنين أن يقاتل يأجوج و مأجوج و لكنه فضل عزلهم و دفع شرهم بأبسط الطرق، كما يعكس صحة ايمانه ومعتقده من خلال إجابته للقوم وكلامه معهم فهو مثال للتواضع ورد الفضل لله تعالى (قال هذا رحمة من ربي...) [1]، وسواء كان ملِكًا أو نبيًا فإن (ذا القرنين) بلا شك كان شخصية ثرية مبهرة تدعوك لتأملها بغض النظر عن ذلك الخلاف الشهير حول حقيقته، لقد صوّر القران تصويرا رائعاً نموذجًا للوجه غير المعتاد للسلطة والقوة والتمكين، فالأصل أن القوة والسلطان يغران صاحبهما وغالبًا ما يفسدانه ويكونان ذريعة لتجبره بعد ذلك واغتراره؛ بل ربما تألهه، حين تجتمع القوة مع الصلاح والإيمان فتكون المحصلة المبهرة والاستثنائية، تمكين كامل لشخصية قيادية، وملك لما بين المشرق والمغرب، وأسباب متوفرة، لقد رسمت الآيات بدقة ملامح دقيقة لمن أوتي القوة والسلطان والأسباب المتوفرة (مكنا له) (أتبع سببا) فلم تغير من نفس ذي القرنين ولم تغره أو تعكر صفو تواضعه وتجرده؛ بل استمر في سيره الدؤوب لنشر العدل في ربوع الأرض، تجسدت في الآيات حياة الرخاء والتمكين واكتمال الأسباب المادية والقوة السلطانية إلا أننا لانجد في شخصيته الإخلاد إلى دعة القصور ولذاتها ومتاعها، بل ستجد حاكمًا عادلًا وسلطانًا قويًّا متحركًا يجوب مشارق الأرض ومغاربها لينشر العدل في ربوع المعمورة وينصر المستضعفين ويكف أذى المفسدين والظالمين، وتستمر مشاهد رحلة ذي القرنين الذي لم نعرف عنه من خلال القصة القرآنية أنه مكث بمكان واحد أخلد فيه إلى الراحة والدعة وتصل في رحلته الطويلة ذات المسافات الشاسعة التي جاب فيها ذو القرنين الأرض من مشرقها إلى مغربها المشهد يحدثنا أنه سيلتقي الآن بأناس يصعب التفاهم معهم؛ بأجزل عبارة (لا يكادون يفقهون قولا) فصور لنا حال هؤلاء القوم من البدائية وقلة التحضر بكلمات معدودة ولو ان أحدنا اراد سرد القصة لاحتاج لصفحات فقط ليصف حال القبيلة، فما بالك ببطل القصة؟ فلماذا توجه له المظلومون طالبين النجدة والنصرة (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) لواردنا كتابة قصة فنحن بحاجة لصفحات حتى نوضح سبب اختيارهم للشخصية كي يتدخل في إنقاذهم بينما السياق القراني يفهم منه أنها اسباب التمكين والقوة له جعلتهم يتوسمون فيه الخير والعون، ثم يأتي أوان الإنجاز الأشهر والأعظم في حياة ذلك الملك العظيم ذي القرنين (السد) لقد تعلموا منه دروسا لم يقلها لهم بل وعتها نفوسهم، يمكنك أن تقول إنه لم يعطهم سمكًا، ولكنه

(١) الكهف الآية ٩٨.

علمهم كيف يصطادونه بأنفسهم، ثم لم ير لنفسه فضلاً في ذلك إلا لله تعالى الذي مكن له وهيئ اسباب القوة والقيادة بل وصوله لهذا المكان بأمر الله تعالى ليؤدي رسالته في الحياة، والتي صورتها الآيات بان هذه القوة لا تصمد امام قوة الله تعالى يوم القيامة حينما يجعله دكاء مع قوته وثباته، وبعد هذه الرحلة القصيرة في ثنايا البحث وزواياه مع شخصية من شخصيات القصص القرآني وكيف صورتها لنا الآيات الكريمة، ورسمت لنا طريقها وجانبا من مشاهد حياتها نأتي على نهاية آخر مطلب من مطالب البحث المتواضع هذا، ولله الفضل والمنة أولا وآخرا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

* * *

الخاتمة

وفي الأخير أكتفي بهذه الفسحة الطيبة في ظلال القصص القرآني، وإنني على يقين تام بأن العديد من الأمور المعرفية والفنية والجمالية مازالت بعيدة المنال عنا كل البعد، وهذا لطبيعة النص القرآني المعجز وكاستنتاج عام يمكننا القول أن القصة القرآنية كبناء هندسي ضربت النموذج الفني الكامل في البناء القصصي الفني الجمالي، لذا فمهما بلغت درجة ملامح الجدة في القصص البشري الوضعي من تطور إلا ونجدها متجذرة في عمارة القصة القرآنية ويمكن تلخيص أهم النتائج للبحث فيما يلي:

١. إن القصص القرآني يتفرد بسرديته عن سائر الخطابات السردية الوضعية، ذلك أن المصدرية المحال عليها هذا القصص هي الله تعالى، فالمعطى السردي القرآني يفارق جذريًا المعطى الوضعي، من حيث مصدريته.

٢. إن القصص القرآني يمتاز بأسلوبه المعجز في سرد أحداثه، محققًا بذلك الغرض الأسمى في ظل السرد القصصي.

٣. تتفاوت درجة تركيز التصوير القرآني على أبنية القصة القرآنية، بحسب ما يخدم الفكرة الرئيسية.

٤. ترد الأمكنة في تدفق القصص القرآني بحسب ما تمليه الغاية الدينية للقصة، وتشكل هذه الأمكنة محطات هامة في مسار حياة البطل الرئيسي لها.

٥. يظهر الحبك المكاني في القصة القرآنية خاضعًا لمنطق الحضور والغياب الذي يسير وفقًا لمقررات الغرض الديني فقد سخر المكان في القصة القرآنية لمقاصد توجيهية.

٦. التصوير الفني هو أحد وجوه الإعجاز البياني في إطار الأسلوب القرآني، فالتصوير بالكلمات المجردة يعدِل بل يفوق الريشة الملونة، فيؤثر في المتلقي وجدانيا، وهو أسلوب تعبيري لكثير من المباحث القرآنية.

٧. (ذو القرنين) بلا شك كان شخصية ثرية مبهرة تدعوك لتأملها بغض النظر عن الخلاف حول حقيقته فقد كان نموذجًا للوجه غير المعتاد للسلطة والقوة والتمكين حينما يؤتاهم بشر.

٨. الرسم القرآني للشخصية القصصية اشتمل على صفات القائد الناجح فجمعت جمعا عجيبا بين الصفات الفنية والأخلاقية الواجب توافرها في القائد الناجح.

المصادر

- القرآن الكريم.
١. الإتجاه الوجداني في الشعر العربي عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، بيروت.
٢. أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ،د.عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١)، ٢٠٠٠م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤. أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
٥. إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلايي (ت ٤٠٣ هـ)، دار المعارف،.القاهرة، ١٩٧١.
٦. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت.
٧. البعد التصويري في القران الكريم رسالة ماجستير اعداد مريم سعود، نوقشت بتاريخ ٢٠٠٥م.
٨. بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨ هـ(القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٣٢ م.
٩. تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية.
١٠. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث.
١١. تفسير التحرير والتنوير لمحمد بن طاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤م.
١٢. تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.
١٣. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٤. التقنيات الفنية و الجمالية المتطورة في القصة القصيرة : حسن غريب أحمد، منتدى القصة العربي منتديات القصة العربية القصة و النقد.

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

١٦. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير, اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

١٧. جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣ م.

١٨. الحبك المكاني في السياق القصصي لسورة يوسف، رسالة ماجستير للباحثة آمنة عشاب، ٢٠٠٧م.

١٩. الخطاب القرآني لسليمان عشراتي ٩٥/١، وينظر جماليات المكان ودلالاته، سيزا قاسم دراز، دار عيون، الدار البيضاء.

٢٠. دلائل الأعجاز ،عبدا لقاهر الجرجاني (ت ٤٨٢ هـ)، وتصحيح وتعليق محمد.رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٢. سيكولوجية القصة في القران الكريم التهامي نقرة، الشركة التونسية للطباعة الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

٢٣. الشخصية في القصص القرآني دراسة نقدية تحليلية، خالد سليمان عيد الدولات الجامعة الأردنية في عمان، ١٩٩١م.

٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين- بيروت ط٤ - يناير ١٩٩٠.

٢٥. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، المركز الثقافي العربي.

٢٦. الصورة الفنية في شعر المتنبي لمنير سلطان، منشأة الإسكندرية.

٢٧. الصورة والبناء الشعري، عبدالله محمد حسن، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٢٨. فن القصة محمد يوسف نجم دار الثقافة بيروت ط ١ر١٩٧٩ م.

٢٩. الفن القصصي في القرآن، ،محمد أحمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية ،ط ٣، ١٩٦٥م.

٣٠. قصص القرآن، د.عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين بالقاهرة.

٣١. القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط ١٣٨٤ ،١ هـ/ ١٩٦٨م.

٣٢. الكامل في التاريخ ،ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال - لبنان، بيروت ،طبعة ٢٠٠٨ م.

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى.

٣٤. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٣٦. من روائع القرآن الكريم.تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز وجل.محمد سعيد رمضان البوطي: مؤسسة الرسالة.بيروت سنة ١٩٩٦.

٣٧. هندسة المقاطع الصوتية، عبدالجليل عبدالقادر، ط١،عمان، دار الفاء للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٣٨. الوصف في سورة الكهف دراسة تحليلية، د.يوسف سليمان الطحان، ٢٠١٣م.

* * *